سلسلة
قصص في الأخلاق
١
قصص في الإخلاص
شعبان مصطفى قزامل
دار الغوثاني
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

سلسلة قصص الأخلاق

١

قصص في
الإخلاص

إعداد
شعبان مصطفى قزامل

أوَّلُ الْمُعَذَّبِينَ

يرْوَى أنَّ أوَّلَ مَنْ يدْخُلُ النَّارَ ثَلاثَـةٌ: قَـارِئٌ وَصَـاحِبُ مَـالٍ ومُجَاهِدٌ؛ فَيقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقَارِئ: ألَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أنْزَلْـتُ عَلَـى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا علِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ الليلِ وآنَاءَ النَّهَارِ. فَيقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَه: كَذبْتَ، بَلْ أرَدْتَ أنْ يقَالَ: إنَّ فُلاناً قَارِئٌ، وقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيؤتَى بِصَاحِبِ المَالِ، فَيقُولُ اللَّـهُ لَـهُ: ألَـمْ أُوَسِّـعْ عَلَيـكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إلَى أحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يا رَبِّ، قَـالَ: فَمَـاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أصِـلُ الـرَّحِمَ وأتَصَـدَّقُ. فَيقُـولُ اللَّهُ: كَذَبْتَ، بَلْ أرَدْتَ أنْ يقَالَ: فُلانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيؤتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه، فَيقُولُ اللَّهُ لَهُ فِـيمَ قُتِلْـتَ؟ فَيقُولُ: أُمِرْتُ بالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فَيقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَبْتَ،.. بَلْ أَرَدْتَ أنْ يقَالَ: فُلانٌ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. ثُمَّ يأمُرُ اللَّهُ بِهِمْ فَيؤخَذُوا فَيُلْقَوا فِي النَّارِ.

الشَّهِيدُ والْجَنَّةُ

كَانَ الأصيرمُ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ رَجُلاً مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، وكَانَ يرْفُضُ الدُّخُولَ فِي الإسْلام إذَا عَرَضَهُ عَلَيه أحَدٌ.

فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ، أخَذَ سَيفَهُ، وانْضَمَّ إلَى جَيشِ المسْلِمِينَ، وَقَاتَلَ المشْرِكِينَ قِتَالاً عَظِيماً حَتَّى أُصِيبَ بِجرَاحَاتٍ خَطِيرَةٍ، وَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ.

وَفِي نِهَايَةِ الْمَعْرَكَة، وبَينَمَا كَانَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ يبْحَثُونَ عَنْ قَتْلاهُمْ، إذَا بِهِمْ يرونَ الأصَيرِمَ أَمَامَهُمْ، وقَدْ أَصَابَهُ مَنْ الجِرَاحِ مَا أَصَابَهُ، فَتعَجَّبُوا لأَنَّهُمْ تَرَكُوهُ قَبْلَ المعْرَكَةِ وَهُوَ مُنْكِرٌ للإسْلام. فَسَألُوهُ هَل فعَلَ ذَلِكَ غَيرَةً عَلَى قَوْمِهِ أمْ رَغْبَةً فِي الإسْلامِ؟

فَقَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الإسْلامِ، آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وأسْلَمْتُ، ثُمَّ أخَذْتُ سَيفِي وغَدَوْتُ مَع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى أصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، ثُمَّ مَاتَ فِي أيدِيهِمْ. فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إنَّهُ مِنْ أهْلِ الْجَنَّةِ».

* * * * *

سَبَبُ البُكَاءِ

ذَاتَ يوم، خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِي اللَّهُ عَنْه يجْلِسُ عِنْدَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْه: مَا يبْكِيكَ؟

قَالَ مُعَاذٌ رَضِي اللَّهُ عَنْه: حديثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «اليسيرُ مِنْ الرِّياء شِرْكٌ. وَمَنْ عَادَى أولياءَ اللَّه فَقَدْ بَارَزَ اللَّه بِالمُحَارَبَة. إنَّ اللَّهَ يحِبُّ الأبْرَارَ الأتْقِياءَ الأخْفِياءَ الْذينَ إنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وإنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الهُدَى...».

وَهكَذَا يحَذِّرُنَا الرَّسُولُ ﷺ مِنْ الرِّياء، وَهُوَ أنْ يقْصِدَ الإنْسَانُ بِعَمَله رِضَا النَّاسِ، لا رِضَا اللَّه سُبْحَانَهُ، وَيبَيِّنُ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ أنَّ أحَبَّ النَّاسِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى هُمْ الْمُخْلِصُونَ.

* * * * *

الوَجْهُ الْحَسَنُ

فِي إحْدَى الغَزَوَاتِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ لِقِتَالِ المشْرِكِينَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وقَالَ لَه: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنِّي رَجُلٌ أسْوَدُ، مُنْتَنُ الرِّيحِ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، لا مَالَ لِي فَإنْ أنَا قَاتَلْتُ هَؤلاءِ المشْرِكِينَ حَتَّى أُقْتَلَ فَأينَ أنَا؟

وكَانَ الرَّجُلُ صَادِقًا فِي قَولِهِ، مُخْلِصًا فِيهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِي ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ».

فَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ، وَقَاتَلَ بِشَجَاعَةٍ حَتَّى قُتِلَ، فَمَرَّ عَلَيهِ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ وَهُوَ مَقْتُولٌ، فَقَالَ: «قَدْ بَيَّضَ اللَّـهُ وَجْهَكَ، وطَيَّبَ رِيحَكَ، وأكْثَرَ مَالَكَ».

ثُمَّ قَالَ ﷺ لأصْحَابِهِ: «فَقَدْ رَأيتُ زَوجَتَهُ مِن الحُورِ العِيْنِ نَازَعَتْهُ جُبَّةً لَهُ مِنْ صُوفٍ، تَدْخُل بَينَهُ وَبَينَ جُبَّتِهِ».

الشِّرْكُ الْخَفِي

وَقَفَ أبُو مُوسَى الأشْعَرِي رَضِي اللَّهُ عَنْه يوْمًا يخْطُبُ فِي النَّاسِ، فَقَالَ: يا أيهَا النَّاس، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإنَّهُ أخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ.

فَقَامَ رَجُلانِ لَمْ يقْتَنعَا بِمَا قَالَهُ، فَهَدَّدَاهُ أنْ يشْكُوَاهُ إلَى أمِيرِ المؤمِنِينَ عُمَر رَضِي اللَّهُ عَنْه إنْ لَمْ يأتِ بِدَلِيلٍ عَلَى مَا يقُولُ.

فَقَالَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يوم، فَقَالَ: «يا أَيها النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ».

فَقَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ للرَّسُولِ ﷺ: وكَيفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يا رَسُولَ اللَّه؟

قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيئاً نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا نَعْلَمُهُ».

العَابِدُ والدِّينَارَانِ

سَمِعَ عَابِدٌ مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ قَومٍ يعْبُدُونَ شَجَرَةً مِنَ الأَشْجَارِ، فَغَضِبَ العَابِدُ، وأخَذَ فَأسًا، وَذَهَبَ لِيقْطَعَ تِلْكَ الشَّجَرَة. فَقَابَلَهُ فِي الطَّرِيقِ إِبْلِيس فِي صُورَةِ شَيخٍ كَبِيرٍ، وَقَالَ لَهُ: إِلَى أَينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟ فَأَخْبَرَهُ العَابِدُ. فَحَاوَلَ إِبْلِيسُ أَنْ يمْنَعَهُ فَتَشَاجَرَ مَعَهُ الْعَابِدُ وأوقَعَهُ عَلَى الأَرْضِ.

فَعَرَضَ عَلَيه إِبْلِيسُ أَنْ يرْجِعَ عَنْ قَطْعِ الشَّجَرَةِ، عَلَى أَنْ يُعْطِيهُ كُلَّ يوم دِينَارَينِ. فَوَافَقَ الْعَابِدُ.

وَفِي الْيوْمَينِ الأَوَلِ والثَانِي، وَجَدَ العَابِدُ الدِّينَارَينِ فِي بَيتِه. وفِي اليوْمِ الثَّالِث، لَمْ يجِدْ شَيئًا، فَغَضِبَ، وأخَذَ فَأسَهُ، وَذَهَبَ لِيقْطَعَ الشَّجَرَةَ.

فَقَابَلَهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ الشَّيخِ الكَبِيرِ، وَتَشَاجَرَ مَعَهُ لِيمْنَعَهُ مِن

قَطْعِ الشَّجَرَةِ ، فَغَلَبَهُ إبْلِيسُ هَذِهِ الْمَرَّةَ. فَقَالَ العَابِدُ : كَيفَ غَلَبْتَنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ؟!

فَقَالَ : لأنَّكَ غَضبْتَ فِي الْمَرَّةِ الأولَى للَّه ، وكَانَ عَمَلُكَ خَالصًا لَهُ ، فَأمَّنَكَ اللَّهُ منِّي. أمَّا هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَقَدْ غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ لِفَقْدِ الدِّينَارَينِ ، فَغَلَبْتُكَ!

صَاحِبُ النَّقْبِ

فِي إحْدَى المَعَارِكِ ، تَجَمَّعَ أعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلَ حِصْنٍ قَوِيّ، فَلَمْ يسْتَطِعْ جَيْشُ المسْلِمِينَ اقْتِحَامَ الحِصْنِ ، فَقَرَّرُوا مُحَاصَرَةَ الأعْدَاءِ دَاخِلَهُ حَتَّى يسْتَسْلِمُوا.

وَفِي صَبَاحِ أحَدِ الأيَّامِ فُوجِئَ المسْلِمُونَ بوجُودِ فَتْحَةٍ فِي الحِصْنِ ، فقَالَ الْقَائدُ : مَنْ صَاحِبُ النَّقْبِ؟ فَلَمْ يرُدَّ أحَدٌ. فَلَمَّا رَأى القَائدُ أنَّ صَاحِبَ النَّقْبِ لا يرِيدُ أنْ يظْهِرَ نَفْسَهُ ، قَالَ : أسْتَحْلِفُهُ بِاللَّهِ أنْ يأتِينِي اللَّيلَةَ.

وفِي المَساءِ ، دَخَلَ عَلَى القَائدِ رَجُلٌ يضَعُ غِطَاءً عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَالَ القَائدُ : هَلْ أنْتَ صَاحِبُ النَّقْبِ.

قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : اكْشفْ عَنْ وَجْهِكَ لأعْرِفَكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ : لِي ثَلاثَةُ شرُوطٍ : ألاَّ يعْرِفَنِي أحَدٌ غيرُكَ ، وألاَّ تُعْطِينِي أي مَالٍ زَائدٍ عَنْ المُسْلمِينَ ، وأنْ أظَلَّ جُنْديًا كَمَا أنَا. فَوَافَقَ القَائدُ لَمَّا رَأى الرَّجُلَ يريدُ أنْ يجْعَلَ عَمَلَهُ خَالِصًا للَّهِ ، لا مُرَاءَاةَ فِيهِ ولا سُمْعَةَ.

الرَّجُلُ المخْلِصُ

حدَّثَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أصْحَابَهُ يومًا، فقَالَ: «قَالَ رَجُلُ لأتَصَدَقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَته فَوَضَعَهَا فِي يدِ سَارِقٍ. فَأصْبَحُوا يتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلَةَ عَلَى سَارِقٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ! لأتَصدَقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

فَخَرَجَ بِصَدَقَته فَوَضَعَهَا فِي يدِ زَانِيةٍ. فَأَصْبَحُوا يتَحَدَثُونَ: تُصُدِّقَ الليلَةَ عَلَى زَانِيةٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيةٍ! لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ.

فَخَرَجَ بِصَدَقَةٍ فَوَضَعَهَا فِي يدِ غَنِي، فَأصْبَحُوا يتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلَةَ عَلَى غَنِي. فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ علَى سَارِقٍ وزَانِيةٍ وغَنِيٍّ!».

ثُمَّ أخبَرَ الرَّسُولُ ﷺ صَحَابَتَهُ، أنَّ ذَلكَ الرَّجُلَ أتَاهُ آتٍ فَأخْبَرَهُ أنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ صَدَقَتَهُ لإخْلاصه، وَصِدْقِ نِيته، فَقَدْ قِيلَ لِلرَّجُلِ: «أمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أنْ يسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَته، وأمَّا الزَّانيةُ فلَعَلَّهَا أنْ تَسْتَعِفَّ عنْ زِنَاهَا، وأمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أنْ يعتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أعْطَاهُ اللَّهُ».

مُهَاجِرُ أمِّ قَيسٍ

أَرَادَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مكَّةَ أنْ يتَزَوَّجَ إحْدَى بَنَاتِ العَرَبِ الشَّرِيفَاتِ، وكَانَتْ تُسَمَّى «أُمَّ قَيسٍ»، فَرَفَضَ أهْلُهَا أن يزَوِّجُوهُ.

ولَمَّا جَاءَ الإسْلامُ أسْلَمَتْ أُمُّ قَيسٍ، ولَمَّا أذِنَ بالهِجْرَةِ هَاجَرَتْ إلى المَدِينَةِ، فهَاجَرَ الرَّجُلُ

وراَءهَا، يطْمَعُ أنْ يتَزَوَّجَهَا هُنَاكَ. فَكَانَ الصَّحَابَةُ يسَمُّونَهُ مُهَاجِرَ أُمِّ قَيسٍ؛ لأنَّهُ هَاجَرَ لأجْلِ المرأةِ الَّتِي أَرَادَ أنْ يتَزَوَّجَهَا، ولَمْ تَكُنْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ ورَسُولِهِ خَالِصَةً.

وهَذَا يعْنِي أنَّ نِيَّةَ الْمَرْءِ ومَقْصَدِهِ لَهُمَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي قَبُولِ عَمَلِهِ أو رَدِّه.

قَالَ ﷺ: «إنَّمَا الأعْمَالُ بِالنِّيات. وإنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى دُنْيا يصِيبُهَا أو امْرَأةٍ ينْكِحُهَا (يتَزَوَّجُهَا)، فَهِجْرَتُه إلَى مَا هَاجَرَ إلَيه».

كَلِمَةُ الإخْلاصِ

يرْوَى أنَّ النَّبِي ﷺ جَلَسَ إلَى صَحَابَتِهِ ذَاتَ يومٍ، فَقَال لَهُمْ: مَنْ قَالَ: «لا إلَهَ إلا اللَّهَ مُخْلِصًا دَخَلَ الجنَّةَ».

فَسَأَلَهُ الصَّحَابَةُ رِضْوانُ اللَّه عَنْهُمْ: ومَا إخْلاصُهَا يا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ ﷺ: «أنْ تَحْجِزَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ».

لذَلكَ فإنَّ قَولَ العَبْد: لا إله إلا الله يقْتَضِي منْهُ أنْ يُخْلص قَلْبَهُ للَّه تَعَالَى؛ فَلا يشْرِك باللَّه أحَداً، وأنْ يتوجَّه بالْعبَادَة والطَّاعَة للَّه وحْدَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لا يقْبَلُ منْ الأعْمَالِ إلا مَا خَلُصَ لَهُ، وأُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ الكَرِيمُ.

وقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إله إلا اللَّه ـ قَطُّ، مُخْلصًا ـ إلاَّ فُتحَتْ لَهُ أبْوابُ السَّمَاءِ حَتَّى يفْضِي إلَي العَرْشِ، مَا اجْتُنبَتِ الكَبَائِرُ».

ثَوَابُ الإخْلاصِ

قُبَيلَ إحْدَى الغَزَوَات، حَثَّ النَّبِي ﷺ النَّاسَ عَلَى الخُرُوجِ إلَى الجهَاد. فَجَاءَ نَفَرٌ منْ فُقَرَاء المسْلمينَ، لا يمْلكُونَ مَا يعينُهُم عَلَى الخُرُوجِ إلَى الجهَاد، يسْألُونَ النَّبِي ﷺ أنْ يعينَهُم عَلَى الخُرُوجِ مَعَ الجَيشِ، بأن يوَفِّرَ لَهُمْ مَا يركَبُونَهُ. فأخْبَرَهُم النَّبِي ﷺ ـ فِي رِفْقٍ ـ أنَّهُ لا يجدُ ما يحْملُهُم عَلَيه.

فَرَجَعَ هَؤلاءُ المسْلِمُونَ وَهُمْ يبْكُونَ، وعَزَّ عَلَيهِم أنْ لا يخْرُجُوا للجهَاد.

فَلَمَّا رَأى اللهُ إخْلاصَهم وَصِدْقَهم، خَفَّفَ عَنْهُم مِنْ أحْزَانِهِم، وجَعَلَ لَهُم نَصِيباً مِنَ الأجْرِ.

وأعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ أصْحَابَهُ بِمَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلى أولَئكَ النَّفَر منَ التَّخْفيف والأجْرِ، فَقَالَ ﷺ: «إنَّ أقْواماً بالمَدينَة خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْباً ولاَ وَادِياً، إلا وهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُم العُذْرُ».

إِخْلاصٌ وَنَجَاةٌ

كَانَ ثَلاثَةُ رِجَالٍ فِي سَفَرٍ. فَدَخَلُوا غَارًا فِي جَبَلٍ لِيقْضُوا اللَّيلَ. فَوَقَعَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ سَدَّتْ بَابَ الغَارِ، فَدَعَوْا رَبَّهَمْ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِم أَنْ يُنْجِيَهُمْ؛ فَذَكَرَ الأَوَّلُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَبَوانِ شَيخَانِ كَبِيرَانِ، فَكَانَ لا يأكُل ولا يشْربُ حتَّى يطْعِمَهُمَا، وأَنَّهُ أَتَاهُمَا يوماً فَوجَدَهُمَا نَائمَينِ، فَظَلَّ واقفاً عِنْدَهُمَا والطَّعَامُ عَلَى يدَيهِ، حتَّى قامَا وأكَلا.

وذَكَرَ الثَّانِي أَنَّهُ كَانَ يحبُّ ابْنَةَ عَمِّهِ، فاحْتَاجَتْ مِنْهُ بَعْضَ المالِ، فاشْتَرَطَ لكَي يعْطِيهَا أن يفْعَلَ مَعَهَا الفَاحِشَةَ، فَذَكَّرَتْهُ بِاللَّهِ، فَتَذَكَّرَ وخَافَ اللَّهَ خَوفاً شَدِيدًا، وأعْطَاهَا المَالَ.

وذَكَرَ الثَّالثُ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يعْمَلُ عِنْدَهُ وانْصَرَفَ دُونَ أَنْ يأْخُذَ أجْرَهُ، فَتَاجَرَ لَهُ فِي أجْرِهِ حَتَّى كَثُرَتِ الأَمْوَالُ، فَلَمَّا جَاءَ الرَّجُلُ الأَجِيرُ، وطَلَبَ حَقَّهُ أَعْطَاهُ تِلْكَ الأَمْوَالَ كلَّهَا. وكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ إذَا فَرَغَ مِنْ كَلامِه، يقُولُ: «اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ»، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، وخَرَجُوا سَالِمِينَ جَزَاءَ إخلاصِهِم.

* * * * *

الوِعَاءُ الثَّمِينُ

لَمَّا فَتَحَ المُسْلِمُونَ الْمَدَائِنَ، أخَذُوا يجْمَعُونَ الغَنَائمَ. وبَينَمَا هُمْ كَذَلك، جَاءَ أحَدُ النَّاسِ ومَعَهُ وَعَاءٌ ثَمينٌ، وَوَضَعَهُ مَعَ الغَنَائمِ. فَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ، وظَنُّوا أنَّ هَذَا الوِعَاءَ كَانَ فِيهِ شيءٌ، وأنَّ الرَّجُلَ أخَذَهُ؛ لأنَّهُم لَمْ يجِدُوا شَيْئًا فِي الغَنَائِم يشْبِهُ هَذَا الوِعَاءَ، فَقَالُوا: هَلْ أَخَذْتَ مِنْهُ شَيئًا؟

فقَالَ الرَّجُلُ: واللَّهِ لَولا اللَّهُ ما أَتيتُكُمْ بِهِ.

فَعرَفُوا أنَّهُ رَجُلٌ أَمِينٌ، فَقَالُوا مَنْ أَنْت؟ فَرَفَضَ الرَّجُلُ أنْ يخْبِرَهُمْ بِاسْمِه؛ حَتَّى لا يمْدَحَهُ أَحَدٌ بِمَا فعَلَ، وقَالَ لَهُم: ولَكِنِّي أحْمَدُ اللَّهَ وأرْضَى بِثَوابِهِ.

فَلَمَّا انْصرَفَ أرْسَلُوا رَجُلاً خَلْفَهُ لِيعْرِفَ مَنْ هُوَ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه.

* * * * *

لِقَاءُ اللَّهِ

ذَاتَ يومٍ، جاءَ رُجُلٌ إلَى النَّبي ﷺ، وأخْبَرَهُ أنَّهُ يقَاتِلُ فِي الحُرُوبِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، غَير أنَّهُ يريدُ ـ كَذَلكَ ـ أنْ يرَى النَّاسُ شَجَاعَتَهُ وقُوَّتَهُ.

فَسكَتَ النَّبِي ﷺ ولَمْ يرُدَّ عَلَى الرَّجُلِ، فَنَزَلَ قَولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وهكَذَا يعَلِّمُنَا القُرآنُ أنَّ اللَّهَ لا يقْبَل مِن العَمَلِ إلا مَا كَانَ خَالِصًا لِوجهِه ولا يُبْتَغَى بِهِ سِواهُ.

وقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِي: «أنَا أغْنَى الشُّركَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أشْرَكَ فِيهِ غَيرِي، فأنَا مِنْهُ بَريءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أشْرَكَ».

* * * * *

الصَّلاةُ الْمَرْدُودَةُ

ذَاتَ يومٍ ، خَرَجَ النَّبي ﷺ عَلَى صَحَابَتِه ، فَقَالَ لَهُمْ : «أيُّهَا النَّاسُ ، إيَّاكُم وشِرْكَ السَّرَائِرِ (والسَّرَائِرِ : نِيةِ الإنْسَانِ ، ومَا يسِرُّهُ مِنْ أمْرِه)».

فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللَّهِ ، ومَا شِرْكُ السرَائِر ؟

فَقَالَ ﷺ : « يقُومُ الرَّجُلُ فَيصَلِّي فَيزَينُ صَلاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يرى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إلَيه ، فَذَلكَ شِرْكُ السَّرَائِر».

فَالرَّسُولُ ﷺ يحَذِّرُ مَنْ يحَسِّنُ صَلاتَهُ إذَا عَلمَ أنَّ النَّاسَ ينْظُرُونَ إلَيه . فإذَا لَمْ يعْلَمْ أنَّ أحَداً ينْظُرُ إلَيه أسَاءَهَا . فإنَّ الوَاجِبَ أنْ يحْسِنَ الإنْسَانُ صَلاتَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّه ، ولا يحْسِنَهَا لِيرَائي بِحُسْنِهَا النَّاسَ ، وقَدْ رُوِي : «مَنْ أحْسَنَ الصَّلاةَ حَيثُ يرَاهُ النَّاسُ ، وأسَاءَهَا حَيثُ يخْلُو ، فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ اسْتَهَانَ بِهَا رَبَّهُ تَبارَكَ وتَعَالَى».

* * * * *

قِصَصٌ فِي الإِخْلاصِ

الإخْلاصُ خُلُقٌ عَظِيمٌ، وَصِفَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ صِفَاتِ المسْلِمِ الحَقِّ، وَهُوَ أَصْلٌ أصيلٌ فِي قَبُولِ الأَعْمَالِ.

والإخْلاصُ أنْ يتَوجَّه الإنْسَانُ بِعِبَادَتِهِ وأعْمَالِهِ إلَى اللَّـهِ سُبْحَانَهُ.

وَلَقَدْ أمَرَ اللَّهُ أنْبِيَاءَهُ وَسَائِرَ الْمُؤمِنِينَ بِالإخْلاصِ فِي أقْوالِهِمْ وأفْعَالِهِمْ، قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا نَبِيهُ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وها هُوَ ذَا الرَّسُولُ ﷺ يقُولُهَا مُمْتَثِلاً أمْرَ رَبِّهِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فَمَا أجْمَلَ أنْ نُخْلِصَ للَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أعْمَالِنَا وأحْوَالِنَا؛ فَنَنَالَ ثَوابَهُ ورِضَاهُ.

وهَذِهِ القِصَصُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الإخْلاصِ، فَلْنَتَعَلَّمْ مِنْهَا، ونَأخُذْ مَا فِيهَا مِنْ عِبْرَةٍ وعِظَةٍ.

* * * * *

سلسلة قصص في الأخلاق

١ - قصص في الأخلاص
٢ - قصص في الأمـــانة
٣ - قصص في الإيثـــار
٤ - قصص في البـــرّ
٥ - قصص في التّعاون
٦ - قصص في التّواضع
٧ - قصص في التّوكل
٨ - قصص في الحبّ
٩ - قصص في الحِـلم
١٠- قصص في الحيـاء
١١- قصص في الرحمة
١٢- قصص في الشجاعة
١٣- قصص في الشُّـكر
١٤- قصص في الشُّورى
١٥- قصص في الصَّبر
١٦- قصص في الصِّدق
١٧- قصص في الطّـاعة
١٨- قصص في العـدل
١٩- قصص في العفـــو
٢٠- قصص في الكـــرم
٢١- قصص في الوفـــاء

٨١٠٠٥٦